مقدمة:

أحمد الله تعالى بما هو أهله ، وأصلي وأسلم على خير رسله سيدنا محمد ، وآله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

يعتبر الخطاب الروائي مركز استقطاب لا لكونه بناء فحسب ، بل لتخطيه الواقع وتفتحه على أفق تكوينه عبر علائق ارتباطه مع الذاكرة والتاريخ ، إنه - بذلك – اتساع بساتين دلالية ، تتسق في مدارات ألفاظه وتراكيبه ، إنه مجموعة أطياف تتشكل لتكون جسدا فياضا بلغة تتلألأ خصوبتها، مشرقة على فضاءات تربط الحاضر بالماضي ، وتلوح بنورها على المستقبل .

فبأقنعة اللغة يشارك الراوي تلميحا وتصريحا ، ليشكل حقلا تتمايز فيه الإبداعات ، وتلتقي فيه الأعمال الأدبية أنهارا جوفية ، وعبر انزياحات اللغة المختلفة تتراءى مخيلة الراوي مؤسسة فضاء جماليا يتجاوز النص نفسه ، صانعة نسيجا من المعاني وفيضا من الدلالات ، ليأتي القارئ محاولا استنطاق وتلبس هذه الروح الجمالية التي تمنح جسد النص حيويته وفيضه الجمالي ليحرك الوجدان والعقل والذاكرة على صورة شعاع ورائحة عنبر، كلما لامسته ازداد طيبة ، وبذلك يدخل القارئ حضرة النص ، لا من زاوية المشاهد فحسب ، بل من زاوية الخبير الناقد المعالج أيضا ، ولا يكتفي بنقد النص بل يتعداه لينتجه من جديد، وكما قيل "الناقد مشروع مبدع ".

والمتتبع لحركة الإبداع العربي – والمغاربي بالخصوص – يجد انفجارا بركانيا ،وحدثا بارزا خاصة في عالم الرواية التي استطاعت أن ترسم لنفسها معالم وسمات في ظل تعدد الأجناس الأدبية وتداخلها .

ومن هؤلاء الكتاب – وعلى رأسهم – نجد الأديب الليبي **إبراهيم الكوني** بنتاجه الوفير والمحكم ، وقد اخترت من أعماله : **التبر و الفزاعة** ، وأسباب الاختيار كانت كثيرة ألخصها في ما يلي :

-اخترت المدونة رواية :

باعتبار الرواية كجنس أدبي تربع على الإبداع اليوم مفتكا لقب "ديوان العرب "، كما أنه استطاع أن يلقى رواجا منقطع النظير لارتباطه بالمجتمع ارتباطا وثيقا ، فالرواية تصوير

للتاريخ والواقع والحياة الاجتماعية ،وحتى الأسطورية والرمزية منها ، وهي لوحة فنية مبدعها يوظف جميع الألوان ليخرجها في أجمل حلة .

-اخترت إبراهيم الكوني :

كونه روائيا عالميا ، غزير الإنتاج ، محكم الجودة ، استطاع أن يبدع أكثر من مـائة رواية ، فهو من عمالقة الرواية ، رسم لنفسه طريقـا لا يزاحمه فيها أحد وهي طريق الصحراء ، حيث استنطق فيها الطبيعة ، وحاور فيها الجماد ، يقول الناقد الأمريكي "روجر آلان" في دراسته " ثلاث أصوات من أدب شمال إفريقيا ":

" في روايات الكوني يصير القيظ والريح والجوع والعطش من الثوابت، سلطة الطبيعـة تنهض أمـامنا"[1].

-أما اختياري للمنهـج:

فبـحكم المنهـج تابع للنص ، وبـحكم تميـز النص بالشموليـة والتواصليـة والانغلاق [2]،والمقصود بالانغلاق هنا ليس مفهومه السلبي بل مفهومه الإيجابي خاصة من الناحية الدلالية ، فالنص بهذا المنحى توالدي وليس منبثقا من عدم ،وإنما هو نتاج أحداث لغوية وتاريخية وتراثية وأسطورية...تتناسل منه وتتوالد فيه ، فقد وقع اختياري في هذه المقاربة على ما يسمى بـ **التناص** ، مستعينا بالمنهج الوصفي بإجرائه التحليلي التمثيلي ، ومحاولا الاستفادة من الكتابات النقدية الغربية ، ومما خلص إليه الدارسـون العـرب حول هذا المنهج وتطبيقاته ، ومن هؤلاء نجد سعيد يقطين في كتابه انفتـاح النص الـروائي – النص والسياق- ، ومحمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري – إستراتجية التناص – ، كما حاولت الاستفادة من الدراسات التي قامت عليها نظريات التلقي .

وإشكاليتي في هذه المقاربة صغتها في مجموعة من الأسئلة ، أهمها ما يلي :

- ما التناص ؟ وما جـذوره ؟

- ما هي أهم محطاته التاريخية ؟

1- إبـراهيم الكوني : الفزاعة ، منشورات اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام ، ط2 ، 2007، وجه الصفحة الأخيرة (صفحة الغلاف).

[2] - ينظر : محمد فنطازي : محاضرات في مقياس مدارس نقدية ، جامعة الأغواط ، 2007/2006.

- كيف نعالج النص بهذا المنهج التناصي ؟

- و ما أشكاله في الرواية ؟

- أين تكمن جماليات التناص و دلالاته ؟

كـــل هـذه الأسئلة وغيرها أدت بي إلى وســـم مـــــوضوعي هـــــــــذا بعنوان :

التناص في الرواية المغاربية

روايتي (التبر و الفزاعة) لإبراهيم الكوني ... أنموذجا.

والـــذي ارتأيـــت أن تكـــون خطتـــه مدخلا وثلاثـــة فصول، إضافة إلـــى مقدمة وخاتمـــة ، كالآتـــي :

مدخـــــــــــل : وفيه تناولت الحديث عن نقاط أربع ، هي :

- مفهـــوم الخطـــاب الأدبـــي ، و ملـــخص عن الروايتين متن البحـث ، وتـــرجمة لصاحبهما ، إضافة إلى مفهـــوم التنـــاص لغـــة .

وهذا كـــي تتسنى لنا الإحاطة بالمؤشرات الأولية للبحث والكشف عن حـــقل هذا العمل .

الفصـــــــل الأول : وعنونته بـ"التناص بين الحضور و التأسيس "وفيـــه تكلمـت عن:

- مفهوم التناص ، التناص عنـــد الغرب ، التناص عنـــد العرب القدماء ، التناص عنـــد العرب المحدثين.

وهذا في سياق الدراسة النظرية .

الفصـــــــل الثاني: والذي وسمته بـ "أشكال التناص في الروايتين "أردته فصلا تطبيقـيا لتلك المـــفاهيم التي تطرقت إليـها في الفصل الأول ، وجعلته شاهـــدا ، ودليلا قاطعـــا

من محتوى الروايتين، وعالجت فيه عدة نقاط منها : التناص الذاتي ، التناص الأدبي ، التناص الديني ، التناص الأسطوري ، التناص التاريخي ، التناص التراثي .

الفصل الثالث : والمعنون بـ"جماليات التناص ودلالاته " ، وهو فصل يعالج الدور الذي يلعبه التناص ، ويبرز قيمة هذا الأخير في الأعمال الإبداعية ، وفي هذا الصدد تطرقت إلى النقاط التالية: إثارة الذاكرة و إحيائها ، تنوع المرجعيات وإنتاج الدلالة الجديدة ، إثراء اللغة الحاضرة باللغة التراثية، الإيجاز وتكثيف الدلالة.

وهذه الفصول في حقيقة الأمر منطقية ، تتناسل بفعل حركية البحث ، فمن النظري إلى التطبيقي إلى إبراز أهمية التناص كانت محطات دراستي هذه ،كما أسعى إلى الكشف والتأويل والمساءلة ، بغية إدراك خيوط النص ونسيجه ، وتفجير مكنونه ومضمره.

هذا ، مع أهمية الإشارة إلى أنها قد جاورتني صعاب في طريق البحث ، ولعل أهمها نقص في الكتب والمراجع التي تتناول الجانب التطبيقي ، وكذا قلة الإمكانيات ، بالإضافة إلى **الظروف العصيبة التي تعيشها الأمة العربية هذه الأيام.**

ومع كل هذا وذاك فقد اغترفت من معين المصادر والمراجع التي توفرت لدي ، واجتهدت في السؤال والبحث عن كل ما بوسعه زيادة عملي هذا تحسنا وقبولا .

وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هذه الدراسة المتواضعة أعتبرها خطوة في ميدان ولوج عالم الرواية المغاربية ، ولا يفوتني أن **أتوجه بخالص الشكر وجزيل الامتنان إلى أساتذتي** ، اعترافا بالفضل وعرفانا بالجميل ،فمذ كان البحث نبتة غضة حتى استوت على سوقها وهم يوجهونني ويرشدونني فجزاهم ربي كل خير.

وفي الأخير أدعو ربي أن يجعل عملي خالصا لوجهه الأكرم ، وأن يزدنا به علما ونفعا ، وفي الفردوس درجة وقربا ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وهو رب العرش العظيم .